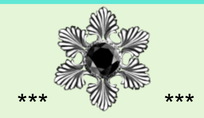
المَحَجَّة

في تقويمِ الأساليبِ المُعْوَجَّة

***  ***



Feriduddin AYDIN
feriduddin@gmail.com

دار العِبَر للطباعة والنشر
Al-Ibar Publishing
İstanbul-2012

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

دَفَعَنِي إلى إعدادِ هذه العُجالةِ أمرٌ يبعثُ الْحَيْرَةَ، ويستغربُهُ القارئُ. فتناولتُ قلمي على كراهيّةٍ منّي لأَكْتُبَ هذه السطورَ وأنا غيرُ مُستعدٍّ لها. لأنيّ أَقْحَمْتُ نفسي في مُغامرةٍ لم أتوقّعْ أن تسْحَبَنِي من وراءِها سنين.

أعددتُ مشروعًا ضخمًا لموسوعةٍ لُغويّةٍ تتكوّن من ثمانيةٍ وعشرين مُجَلَّدًا (خَصَّصْتُ لكلِّ حرفٍ مجلَّدًا مستقلاًّ)، سَمَّيْتُهَا: "المعجمَ الموسوعِيَّ الفريدَ لألفاظِ اللُّغة العربيَّة". لا يمكنُ إكمالُها وإصدارُها إلاَّ بمشاركةِ عَشَرَاتٍ من أهلِ العلمِ والخبرة! ثم أقدمتُ على تنفيذِهِ بنفسِي وحيدًا، وما زِلْتُ مُنهمِكًا فيه، والله وحده يعلم عاقبةَ الأمر.

بينما أنا على هذه الحالة أتقلّبُ في أمواجٍ من الهموم غريقٌ في هذه اللُّجَّةِ، زارني صديقٌ لي من مُثَقَّفِي المنطقة الكرديّة، يطلبُ منّي أنْ أكتبَ له تقريظًا لكتابٍ (أَلَّفَهُ باللُّغة التركية) وفَرَغَ منه لاحقًا. ولكنّي لَمَّا تَصَفَّحْتُ الْكِتَابَ، وأَجْرَيْتُ النظرَ في عِبَارَاتِهِ، وتَأَمَّلْتُ في مقاطعَ منه، أَدْهَشَتْنِي كَثْرَةُ ما فيه من عيوبٍ لُغَوِيَّةٍ وإطلاقاتٍ غريبة، بالأضافة إلى ما يَسُودُهُ من لهجةٍ قاسيةٍ وأسلوبٍ عنيفٍ يَسْتَحِيلُ وصفُها! فأحببتُ أن أقدّمَ له نصائحَ تُلفِتُ انتباهَهُ إلى الظروف التي أحاطني وإيّاه أيّامَ دِرَاسَتِنَا في مدارس المنطقةِ التي دَفَعَتْنَا إلى هذه الْمَتَاهَاتِ، وَجَعَلَتْنَا لاَ نُبَالِي بما نقول، ونُلْقِي الكلمةَ على عَوَاهِنِهَا بِكُلِّ جُرْأَةٍ! لأنيّ وجدتُ تأثيرًا بالغًا لتلك الأيّام وظروفِها قد انعكستْ على أسلوبهِ الشديدِ وعباراتِهِ الْمُضْطَرِبَةِ، فخشيتُ أن يُسيئَ ذلك بِسُمْعَتِهِ إذا طُبِعَ على هذه الحالةِ.

فأردتُ أنْ أُعيدَ ذاكرةَ المؤلّفِ إلى سابق عهده لِيَتَأَمَّلَ في ظروفِ أيامِ طفولتهِ وشبابهِ وأيّامِ دِرَاسَتِهِ خاصّةً، ليتذكّرَ الأخطاءَ والسلبياتِ الّتي كانتْ سَائِدَةً على أعمالِ التدريسِ والتعليمِ في المدارس الأهليّةِ بالمنطقةِ، وَلِيَحْتَاطَ إذا تناول قَلَمَهُ من اليوم فصاعدًا. لأنّه في الحقيقةِ لا يريد إلاَّ الخيرَ؛ يريدُ أن ينفعَ الأمةَ، ويبذلُ جهودَهُ لِيُنَبِّهَ الناسَ على خَطَرِ الإشراك بالله والكفريات المنتشرة، ويعدِّدُ أمثلةً من البِدَعِ والأباطيلِ الّتي تُهَدِّدُ العقيدةَ الحنيفةَ، ويفضحُ رموزَ الضلالِ، ويُرْشِدُ الناسَ إلى هَدْيِ اللهِ وسنّةِ رسوله صلّى الله عليه وسلّم... لكنّه مع هذه النيّةِ الحسنةِ الطيّبةِ يُخْطِئُ في الأسلوبِ ويَفْشَلُ في التعبير.

فأعددتُ له هذه العجالةَ التي تتضمَّنُ توضيحًا وجيزًا وافيًا لأسباب الْفَشَلِ الذّرِيع الّذي يعاني منه الْمَلاَلِي[1] وشيوخُ المنطقةِ الذين لا يجوز إطلاقُ صفةِ (العَالِم) على أحدٍ منهم في الحقيقة. قصدتُ بهذه العجالةِ خاصّةً أن أُذَكِّرَ أخيَّ الكريمَ بأهميّة فنِّ الإنشاءِ وأُنَبِّهَهُ على خطورةِ اللَّحنِ والرّكاكةِ والغموضِ والتنافرِ وسوءِ التأليفِ واللهجةِ القاسيةِ ونحوِها من عيوب الكتابة والإنشاءِ والتأليفِ. لأنَّ الإنشاءَ فَنٌّ جليلٌ مستقلٌّ، وشُعْبَةٌ من علوم الأدبِ، له مبادؤُهُ وآدابُهُ ودقائقُهُ. والإنشاءُ العلميُّ الأدَبِيُّ هو الطريقُ الوحيدُ الّذي يَسْلُكُهَ العالِمُ والْمُثَقَّفُ لِيُقَدِّمَ مِنْ خلالِهِ إِبْدَاعَهُ وابْتِكَارَهَ للنّاسِ، فهو كغِلافٍ دقيقٍ يجب استعمالُهُ بِرِفْقٍ ومَهَارَةٍ.

قديمًا صدرتْ مِنْ بعضِ العلماءِ زلاَّتٌ وعَثَرَاتٌ نادرةٌ، فلم يسكُتْ عليها النُّقّادُ التزامًا بالأمانةِ العلميّةِ ودِفَاعًا عن كرامة الأُسُسِ التي وضعها أساطين عالَمِ المعرفة وعباقرةُ المنَظِّرِين. فكانتْ لِمُرَاعَاةِ الآداب أهميّةٌ بالغةٌ حتى عند علماء النصارى فضلاً عن علماء المسلمين. وعلى سبيل المثال، اطَّلَعَ الشيخ ناصيف الْيَازِجِي[2] الَّذِي كَان من فحول علماءِ عصرِهِ (وهو من كبار علماء المارونيّة المسيحيّة في لبنان)، اطَّلَعَ على أخطاءِ لِلْعَلاَّمَةِ سِيلْفِيسْتِرْ دِي سَاسِي[3]، وهو مُسْتَشْرِقٌ فرانسيٌّ، كان بارعًا في الأدب العربي، شَرَحَ مقاماتِ الحريريّ. فكتب له الْيَازِجِيُّ نقدًا يَجْدِرُ بكلّ عَالِمٍ أن يَقْرَأَ سطورَهُ، ليأخذَ العبرةَ ولِيَتَأَكَّدَ من أَهَمِّيَّةِ مراعاة الآداب والمبادئِ في الكتابة وَالْعِشْرَةِ.

هذه العجالةُ المتواضعةُ تَتَبَنَّى في صميمها مساعدةَ الأخ (.........) بالتركيز على أهميّة آدابِ الكتابةِ والإنشاءِ بالدرجة الأُولى دون الخوض في تعدادِ هذه الآدابِ وشرح تفاصيلها، لأنَّها موضوعٌ آخر، قد أَفْرَدَ علماءُ الأدب فيه كُتُبًا وَرَسَائِلَ جَمَّةً. ثم تتعرَّضُ العجالةُ من خلالِ السياقِ إلى أسبابِ الْفَقْرِ الثَّقَافِيّ الذي يُعَانِي منها مَلاَلِي وشيوخُ المنطقةِ الكرديّةِ بالدرجة الثانية. وقد أدخلتُ الحركاتِ الإعرابيّةَ على بعضِ الألفاظِ الواردةِ في هذه العجالةِ على سبيلِ المساعدةِ لأيّ مُتعلّمٍ قد يقعُ بصرُهُ على هذه العجالةِ وهو غير ذي حظٍّ من النحو العربي، وليس الغرضُ من ذلك المخاطبُ الفاضلُ، لأنّه غنيٌّ عنها. ولكنّي أضفتُ جملةً من الهوامش إلى العجالةِ على سبيلِ التوضيحِ لبعضِ المصطلحاتِ والمفاهيمِ ظَنًّا منّي أنها ما زالتْ غريبةً على الأخ (.........) بسبب اختلاف الثقافة، سجَّلْتُهَا لأَهَمِّيَّتِهَا بالدرجة الثالثة.

---

[1] كلمة (ملالي)، كردية، وهي صيغةُ جمعٍ، مفرها: (ملاَّ، أو منلاَ)، تطلق بمعنى العالم أو الشيخ والأستاذ. يزعم البعض أنها محرّفة من كلمةِ (مولى)، أو تحمل معنى الوعاء المملوء بالعلم.

[2] الشيخ ناصيف الْيَازِجِي (1871–1800م.)

[3] سِيلْفِيسْتِرْ دِي سَاسِي Silvestre de Sacy (1838–1758م.). وفيما يلي نصُّ كتاب الشيخ ناصيف اليازجي الذي وجّهه إلى المستشرق الفرنسي سِيلْفِيسْتِرْ دِي سَاسِي، نقلتُهُ من الكتاب الموسون ((الفنونُ الأدبيّةُ وأعلامُها في النهضة العربية الحديثة))، لمؤلّفه أنيس المقدسي، يقول: "ومِمَّا يُذكَرُ له رسالةٌ بعثَ بها إلى المستشرق الشهير سِيلْفِيسْتِرْ دِي سَاسِي ناقِدًا شرحَهُ لِمَقامات الحريريّ، وقد طُبِعَتْ هذه الرسالةُ في لِيبْزِغْ سنة 1818م. مِمَّا جاءَ فِيها: أمَّا بعد، حمدًا لله على نِعَمِهِ وآلائه، والصلاة والسلام على أنبيائه وأوليائه. فإنّني قد وقفتُ على كتابِكم في شرح المقامات الحريريّةِ أيّها السيّد الكريم، فرأيتُها طُرفةً بديعةً تشهد لكم بالفضلِ والبلاغةِ إلى ما لا مزيدَ عليهِ ولا منتهى إليه. فلو أدركه الحريريُّ لَرَأَى منه ما لا يخطر ببالٍ، ولو تُلِيَتْ على تُربَتِهِ لاهتزّتْ ذاتَ اليمين وذاتَ الشمالِ. غير أنّي قد عثرتُ فيه على شواردَ لا تنطبق على أُصول اللغة فأنكرتُها، وحملتُ بعضًا منها على جهل الكاتبِ، وإن كنتُ في ريبٍ من وقوفِكم على طبع الكتابِ ومراجعتِكم له. وعلى كِلاَ الوجهينِ قد أجريتُ هذا البعضَ على عِلاَّتِهِ ولم أتعرّضْ له، وحملتُ البعضَ الآخَرَ على غفلةٍ وقعتْ إمّا منكم لغرابةٍ بقيتْ عليكم في وجه اللغةِ، وإمّا منّي لضعفِ الرويّةِ. وعلى كلا التقديرين قد علّقتُ هذه العبارات لعلّها تُنبِؤُكم إنْ أصابت، أو تُفيدُني إنْ أخطأتُ.. وقد تطفّلتُ به عليكَ وبِي ما بي من المهابةِ، إذ لم تكن مِمّن يقابل بمثل هذا، ولم أكن مِمّن يختاره لو لا سؤال من تحقّ له الإجابةُ من رجالِكم الكرام."

"وبعد هذه الديباجة يأخذ بسرد الأخطاءِ وتصحيحيها، ومعظمُها من قبيل الهفوات الصرفيّة والنحويّةِ. حتّى إذا بلغ ختامَها أدركه تواضُعُ العلماءِ فقال: هذا ما علّقناهُ مِمَّا أنكرناه في كتابكم. وإنّي أستوهبكم هذه الجسارةَ التي لستُ كفؤًا لها، وألتمس منكم الإفادةَ فيما لم أدركه، والتسليم فيما لم تنتبهوا إليه، وأُعيذكم من أن تقولوا: هكذا وجدنا في ما نقلنا عنه فيكون لكم مقامَ ناسخٍ لا علمَ له بعملِهِ، وليس هذا من شأنكم اعزّكم الله. وإنّي لأشهد بفضلكم ولا فضل لي إذا شهدتُ للصبحِ بالشروقِ وللمسكِ بالعبوقِ. وحبذا لو أنّ لنا أمثالاً نشدّ أزرنا بها ونفتخر بآدابها"

أسأل الله سبحانه أن يُعاملَ أخانا هذا الرَّجُلَ الصالِحَ الّذي يَتَوَقّدُ صَدْرُهُ ألَمًا على أُمّةِ الإسلامِ الّتي قد سقطتْ إلى الدّركِ الأسفل من جحيمِ الجاهليّةِ، تُهَيْمِنُ عليها ملّةُ الكفرِ، تَحْتَلُّ أرضَهَا، وَتقتحِمُ حُرْمَتَهَا، وَتَنْهَشُ جِسمَهَا، وتتهارشُ وتتكالَبُ على ثَرَوَاتِهَا، وَتذبحُ أبناءَها وتستحيي نساءَها دون أدنى رحمة. أرجو الله أن يُوَفّقَ أخي الشيخ (.........) الذي تَرَكَنِي مُضْطَرًّا إلى كتابةِ هذهِ السطورِ وأنا مغمورٌ بألف نوعٍ من البلاءِ مع نفسي وإلى الله المفرُّ.

لقد عاهدتُ اللهَ أنْ لاَ أُمَكّنَ أحدًا من الإطّلاَعِ على هذه العجالة أو شيءٍ من مضمونها إلاَّ بإذنٍ صريحٍ من الأخِ الشيخ (.........)، أو بِاسْتِبْدَالِ اسمٍ مُسْتَعَارٍ مكانَ اسْمِهِ أو بِحَذْفِهِ تمامًا، وذلك حِفَاظًا على كَرَامَتِهِ وصِيَانَةً لِسُمْعَتِهِ، والله على ما أقول وكيل.

فريد الدين بن صلاح بن عبد الله بن محمد الحزين الحسنيّ الطالبيّ الهاشميّ
إسطنبول المحروسة: الخميس، 23 شعبان، 1433هـ – الخميس، 12 تموز، 2012

***

مضامين الرسالة بالاختصار:

1) **أهميّةُ الآدابِ في الخطابِ، والكتابة والإنشاء، وَالعِشْرَةِ،**
2) **أهمية الأسلوب الهادئ الْمتين في الخطاب والحوار،**
3) **أهميّة علامات الترقيم،**
4) **الفقرُ الثقافِيُّ الذي يعاني منها ملالي وشيوخ المنطقة الكردية، وأسبابُهُ،**
5) **وجوب معالجة هذه المشاكل، والنهوضِ بالمستوى العلمي في المنطقة**

***

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد؛

المكرّم، الشيخ (.........)، نال مُنَاهُ.

إنّي سعيدٌ بالتَّعَرُّفِ عليك[4] للصّلةِ التي تربطُ بيننان, وهي أقوى الصلات: صلة العقيدة الحنيفة. و"الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ".

لن يُخلَّ بهذه الصِّلَةَ عارِضٌ بِوجهٍ إن شاء الله تعالى، ما دُمْنَا على عهدِنا مع اللهِ، لا نُشرِكُ به شيئًا، ولا يَتَّخِذُ بعضُنا بعضًا أربابًا من دون الله، ونَذُبُّ عن دينِ اللهِ بالنفسِ والجاهِ والمال؛ ولا نُفَرِّقُ بين مُشْرِكٍ وآخرَ لِقَرَابَةٍ نسبيّةٍ أو صِهريّةٍ أو لَعلاقةٍ مّا؛ وما دام اللهُ ورسولُه أحبَّ إلينا من آباءِنا وأمهاتِنا وأولادِنا ومشائِخنا الذين كُنّا نُعظّمهم تعظيمَ إشراكٍ مع اللهِ في عهد جاهليَّتِنَا التي طهّر اللهُ قلوبَنَا مِنْ أرجاسِها.

بناءً على هذه الصِّلةِ المباركةِ يجب علينا ألاَّ نُقَصِّرَ، ولا نَتَهَاوَنَ، ولا نَتَكَاسَلَ عن التعاونِ على البرِّ والتقوَى. ومن أفضلِ أنماطِ التعاون وأهَمِّها: الْمُنَاصَحَةُ للهِ، والصدقُ في القولِ، والْحُبُّ والبُغضُ في اللهِ، وتسليمُ الحقِّ لأهلِهِ، والاعترافُ بالواقعِ ولو على أنفُسِنَا...

بهذهِ المناسبةِ رأيتُ[5] أنْ أشرحَ لك نبذةً[6] من أَزَمَاتِ تدريسِ العلومِ الاسلاميّةِ، ومشاكلِ التعليمِ التقليدِيّ[7] الجاري في المنطقة الكرديّةِ، وما أَسْفَرَ عنها[8] من الفسادِ والْخَلَلِ والأخطاءِ الأخلاقيّةِ والعَقَدِيَّةِ والثقافِيَّةِ والاجتماعيّةِ الّتي عادتْ على أجيالِ الأكرادِ بأنواعِ المساوِي، وأخّرتْهم عن مُوَاكَبَة[9] تطوّراتِ العصرِ، وعكّرتْ حياتَهم بالخساراتِ والفَشَلِ.

---

[4] التعرّف على الشيء، أي المعرفة به. وينبغي هنا التنبيه بالمناسبة إلى أهمّيّة الفروق بين التعبيرات الثلاثة: (تعرّفَ عليه onu tanıdı)، و(عرفة onu –özel olarak- bildi)، و(عَلِمَهُ onu –genel anlamda- bildi

[5] فعلُ (رَأَيْتُ) هنا: ليس بمعنى: رأيتُ بالعين، بل: بدا لي رأيٌ: görüşüm, kanaatim şudur. لأن (راى)، له تصريفان: رَأى يَرَى رُؤية (بالبصر)؛ و رَأى يَرَى رَأيًا (بالقلب).

[6] نُبذة ونَبذة (بضم النون وفتحها) كلاهما جائزٌ.

[7] التعليمِ التقليدِيّ، باللغة الركية: geleneksel eğitim sistemi

[8] أَسْفَرَ عنها: ondan sonuçlandı, onun sebebiyle ortaya çıktı

[9] المواكبة: topluluğa, yürüyüşte ayak uydurmak

***

وقبل أنْ أخوضَ في لُبِّ الموضوعِ لابدّ أن أُرَكِّزَ أوّلاً على أنّ اللُّغةَ التي يَتَعَلَّمُها الإنسانُ بعدَ سِنّ الطفولةِ، من المستحيلِ أنْ يُتْقِنَهَا حقَّ الإتقانِ إلاَّ بشرطين:

1) أنْ يُجَمِّدَ علاقتَه مع لُغتِه الأصليّة، ويَنْأَى عن أهلِها وبِيئَتِهَا فترةً مناسبةً.

2) أنْ يُقيمَ بين أبناءِ اللّغةِ الّتي عقدَ العزمَ[10] على تَعَلُّمِها وإتْقانِها مدّةً لا تقلُّ عن خمسِ سنين (فيما أرى[11]، انطلاقًا من التجارب الّتي حظيتُها عَبْرَ[12] قيامِي بِمُهِمَّةِ[13] تدريسِ اللُّغة). يجب على طالب اللُّغةِ في كلِّ هذه الفترةِ أنْ يُخَالِطَ النّاسَ الذين يُقيمُ هُوَ بين ظهرانيهم؛ أن يتبادلَ معهم الحديثَ عند أدنىَ فرصةٍ، وهو يتقلّب معهم في أغلبِ أحوالِهم ويشاركهم في نشاطاتهم وعلاقاتهم حُلْوِهَا وَمُرِّهَا... ذلك؛ أنّ أية لُغةٍ يبدأُ الإنسانُ يَتَعَلَّمُها، لاَبدَّ أنْ يمارسَها بأربعةِ طرائقَ مختلفةٍ، ولكن مُتَزَامِنَةٍ[14] وَمُتَنَاغِمَةٍ[15]، بألاَّ يُهمِلَ طريقًا واحدًا منها أبدًا. وهي:

1) القراءة،

2) الكتابة،

3) المكالمةُ،

4) الاستماع مع الفَهْمِ التامّ

ويشترط على الْمُدَرِّسِ مع كلِّ ذلك: ألاَّ يُكلِّم[16] تِلميذَهُ بِلُغَتِهِ الأصليّةِ، بل يجب عليه أن يُلقِيَ دروسهُ باللُّغةِ التي يُعَلِّمُها، وألاَّ يَعْدِلَ عنها إلاَّ لضرورةٍ مُلِحَّةٍ لا مَنَاصَ منها.

---

10 تعبير (عقدَ العزمَ): أفضل منه استعمالاً في مثل هذا المقام بَدَلَ مُجَرَّدِ الفعل (عزمَ). هذا تنبيه من الناحية الإنشائية والبلاغية.

11 فيما أرى: kanaatime gore

12 عَبْرَ: ...boyunca

13 المهمّة: İş, görev, vazife

14 متزامنٌ: eşzamanlı

15 متناغمٌ: insicamlı, birbirine uygun olarak yürüyen

16 لا يُقال: ألاَّ يُكلِّم طَالِبَهُ!

استهللتُ خطابي لك بهذا التمهيد لِتَعُودَ إلى ذِكْرَيَاتِكَ لأيَّام نشوءِكَ وأنت يومئذٍ تلميذٌ بين يدي أستاذك الذي يُتَابعُ سطورَ الكتابِ؛ يقرأ بالعربيّة: (إِعْلَمْ)، ثمّ يُتَرْجِمُهَا لك إلى اللُّغةِ الكرديَّة، يقول: (تُو بِزَانْ)... لأنه لَمْ يَكُنْ هو بالذات يُتْقِنُ[17] اللُّغةَ العربيّةَ في حقيقة الأمر، وَ"إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَاب!!!"

إنّ ذلك الأسلوبَ الْمُعْوَجَّ، كانت ولا تزال آفةً نزلتْ بمجال النشاطات التعليميّةِ[18] على الساحة التركية بأسرِها، وتحوّلتْ إلى مرضٍ خطيرٍ وداءٍ دفينٍ، تأصّلتْ[19] في نفوس الأتراك والأكرادِ على السواءِ، وحالتْ بينهم وبين العلمِ الحقيقيِّ، وجرَّدَتْهُمْ من الذَّوقِ السليمِ، وطلاقةِ اللِّسانِ، وأَبْعَدَتْهُمْ عن مُشاركةِ علماءِ الأمّةِ الإسلاميّةِ، ولم يخطُرْ على بالِ أحدٍ منهم منذ قرونٍ أنّه لابدّ من معالجةِ هذا المرضِ والقضاءِ عليه بالرجوعِ إلى (الطريقةِ المباشرةِ **direct action**) ونبذِ الترجمة في تعليم اللُّغة. فغدَى هذا الأسلوبُ الْمُعْوَجُّ سببًا من أسبابِ العجزِ في التعبيرِ، فلم نجدْ يومًا من الأيامِ عالِمًا من علماءِ الأتراكِ والأكرادِ على الْمِنَصَّةِ يُلْقِي خِطَابَهُ باللُّغة العربيّة في الْمُحَاضَرَاتِ وَالنَّدَوَاتِ وَالْمُؤْتَمَرَاتِ العلميَّةِ التي تُقامُ بين الفَيْنَةِ والأخرى في أرجاءِ العالمِ الإسلاميّ (إلاّ القليلَ الأقلَّ) مِمّا أدَّى ذلك إلى سوءِ الظَّنِ بهم، وإهمالِ أسماء رجالاتهم من قائمة[20] علماء الأمّةِ.

وأنتَ بالذّات (أيها المكرّم)، هل تَذْكُرُ: كم تذوَّقْتَ مَرَارَةَ الْعَيِّ كُلَّمَا حَلَلْتَ مجلسًا يتحدَّثُ فيه شخصيّةٌ من علماء العرب وأنت صامتٌ، أو تَلُوكُ بعضَ الكلما ثم ترى نفسَكَ فاشلاً في التعبير؟! بينما لا شكَّ من أنَّكَ أفنيتَ عمرًا غاليًا في حِفْظِ متون الصرف والنحو، وأحصيتَ آلاف القواعدِ... أَتَقْبَلُ أنْ يقول لك الناسُ أن القَرَضَاوِيَّ أوِ البوطيَّ أو شيخَ الأزهرِ أعقلُ وأعلمُ منك؟ واللهِ حرامٌ عليك أن تجيبهم بـ (نَعَمْ)، ولكنَّ المصيبةَ ناشئةٌ من هذا الأسلوب الْمُعْوَجِّ الّذي أرغمَكَ وأرغَمَ آلافًا من أبناءِ المنطقةِ الكرديَّةِ خاصةً، وحوَّلَ كلَّ واحدٍ منهم إلى خِزَانَةٍ صَمَّاءَ لقواعد اللُّغةِ العربيّةِ لا تُسمِنُ ولاَ تُغنِي من جوع! نعم، حرامٌ عليكَ وعلى أمثالك (وَقَلِيلٌ مّاهُمْ!) أن تتَّهموا أنفسّكم بسبب هذا الأسلوب الْمُعْوَجّ! لا شك من أنّكم (القلةَ الصالحةَ من أبناء المنطقةِ الكرديّةِ الّذين استطاعوا أنْ يَخرُجوا من ظلماتِ مدارسِ الأعجامِ بِشِقّ الأنفس) نعم، لا شكَّ في أنّكم أهلُ العلمِ والمعرفةِ والحميَّة والأخلاقِ الرفيعة... أنتم في طليعةِ رجالِ الجهادِ العلميّ، أنتم أساتذةٌ رَبَّانِيُّونَ لِسُكَّانِ هذا البلد... إنّ هذا البلدَ يأمل منكم العطاءَ والفِدَاءَ، يأمل منكم أنْ تقودوا شبَابَنَا (خاصّةَ شباب الأكرادِ) إلى ما فيه خيرٌ لهذا البلدِ، وخيرٌ لأمّةِ الإسلامِ، وخيرٌ للبشريةِ جَمْعَاءَ... لأنّكم اكتسبتم ثقافةً واطّلاعًا على أحوال الدنيا، ومعرفةً بمشاكلِ الأمّةِ، والأخطارِ التي تُهَدِّدُهَا؛ تعلَّمْتُمْ استعمالَ الحاسوبِ واهتديتم للاستفادة من الشبكة العنكبوتية،[21] بأمكانكم اليوم مُتَابَعَةُ الأخبارِ الهامّةِ والعلاقاتِ السياسيّة، ومفهومِ الْعَوْلَمَةِ والربيع العربيّ وغيرها من التطورات التي تجري في العَالَمِ.

---

[17] لَمْ يَكُنْ يُتقِن: bilmiyor idi

[18] مجال النشاطات التعليميّة: eğitime ait faaliyet alanları

[19] تأصّلتْ: kemikleşmiş, kronik hale gelmiş..

[20] القائمة: liste

[21] الشبكة العنكبوتية: internet

ولكنْ دَعْنَا الآن نكونُ مخلصين مع أنفسِنا، ونعودُ إلى ضميرِنا لشهادة الحقّ ولِنَعْتَرِفَ نحن جميعًا ببعضِ الحقائقِ، حتَّى نتمكَّنَ بفضلِ هذا الإعترافِ من تصحيح أخطائِنا، وتحسينِ أسلوبِنا، ولِنَتَدَارَكَ ما فَاتَنَا، ولنتعلَّم أشياءَ جديدةً تنفعُنَا، لعلّنا نَحْظَى من الرصيدِ العلمِيّ الَّذِي خَزَّنَّاهُ في حَافِظَتِنَا، ما عسى أنْ يجعلَنَا قادرين على إرشادِ الناسِ وإصلاحِ العقولِ ومحاربةِ الفسادِ والقضاءِ على (الأسلوبِ المُعوجّ) في التدريسِ والتعليم والتهذيبِ، وقمعِ البِدَعِ والخُرَافَاتِ والشعوذةِ والتصوفِ والنقشبندية... لإنقاذِ العقيدةِ والأخلاقِ... تعالوا إذًا نتواضعُ لله أوّلاً بِمُبَاشَرَةِ تصحيحِ أساليبِنا لِنَتَمَتَّع بِكَفَاءَةِ التَّعْبِيرِ كِتَابَةً وَنُطْقًا على غِرارِ علماء السلفِ الصالحِ، قبل أن نتسابقَ في تأليفِ الكُتُبِ والمقالات بِعِبَارَاتِنَا الرَّكِيكَةِ طمعًا في أنْ تدخلَ أسماؤُنا ضِمْنَ قائمةِ المؤلّفين والكُتَّاب!

وبهذه المناسبةِ يجب علينا قبلَ كلِّ شيءٍ ألاَّ نشكَّ فيما إذا كانَ محصولُ قَلَمِنَا شيئًا يَتَّسِمُ بِالعلميّةِ[22]، والموضوعيّةِ[23]، والمنهجيّةِ[24]، سوف يتقبَّلُهُ أهلُ العلم لا محالةَ، وإنْ كان ذلك المحصولُ نُسْخَةً واحدةً تَمضي عليها حُقُبَاتٌ من الزمن، مهجورةً على رفوف المكتبات. فسوف تَمْتَدُّ إليها أيدي العلماءِ والباحثين يومًا من الأيامِ، لأنّها تأتي بشيء جديدٍ نافعٍ، أو تكشفُ سرًّا خُفِيَ على الناسِ.

أما إذا كانَ العملُ خاليًا من هذه السِّمَاتِ الثلاثِ، فوالله لن يلتفتَ إليه أهلُ العلم، ولن تتداولَهُ أيدي أولي النُّهَى أبدًا، ولو طُبِعَ منها ملايينُ النَّسَخِ بِمَاءِ الذَّهَبِ، وَوُزِّعَتْ على الناس مجّانًا، فضلاً عن أنّه سيكون وبالاً على كاتبه لِمَا قد أسرفَ وقتَه في تَخَبُّطٍ وتسابُقٍ ومنافسةٍ وطمعٍ في الشُّهرةِ. قيل عن النبي عليه السلام (إذا صحّ والله أعلم): بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يُشَارَ إِلَيْهِ فِي دِينِهِ أَوْ دُنْيَاهُ إِلاَّ مَنْ عَصَمَهُ اللهُ.

❋❋❋

[22] العلمية: bilimsellik, bilimin kurallarına uygunluk

[23] الموضوعيّة (أي الحياد): tarafsızlık

[24] المنهجية: sistematik

أمّا الحقائق التي يجب علينا أن نعترفَ بها – بينما نكتمُ الكثيرَ منها عمدًا ويا للأَسف الشديد!–؛ أوّلها وأهَمُّها: أنَّ نفوسَنا قد غرَّتْنَا بِأَنَّنا نملكُ الكفاءَةَ في فَنِّ التأليف، وهي في الحقيقة لا تتوَفَّرُ في كثير منَّا أصلاً، لأسباب (سَأَتَطَرَّقُ[25] إليها فيما يلي بإيجاز إن شاء الله تعالى). بَعْضُنَا يَرْمِي نفسَه في مَتَاهَاتٍ ويتخبّط مُسْتَمِيتًا لِكَيْ يُنْشِئَ مقالةً تُنْشَرُ له، وقد قطع على نفسه إلاَّ أنْ يُصْدِرَهَا كأنّه نذرَ عمله لله، وهذا شيءٌ من العجائب. والحال، ينبغي أنْ نعلمَ بالتأكيد: أنَّ حِفظَ متونِ النحو والصرف شيءٌ، والبراعةَ في فَنِّ الإنشاءِ والتأليف شيءٌ آخرُ لا علاقة بينهما قيدَ نملةٍ!!! إذًا أين لِحُفَّاظِ كُتُبِ النحوِ والصرفِ أنْ يتصدّروا للتأليف؟ أين لهم أنْ يتناول أَحَدُهُمْ قَلَمَهُ ليكتبَ مقالةً بسيطةً، فضلاً عن تأليفِ كتابٍ يجوز أن يُوصَفَ بِإبداعٍ علميٍّ لا يَستغني عنه الإنسانُ المثقف! ألاَ يكفِي ما يفضحهم من كُتَيْبَاتِهِمْ ورسائلهم التي تراكمت في أسواق الكتب على الساحة التركيّة (يستغني عنها أهل العلم قاطبةً، لأنَّ كُلَّهَا كُتِبَتْ باللُّغة التركيَّة) وهي خاليةٌ من أدنى شَمَّةٍ من آثار العلم، لم يعالجوا بها مشكلةً ولا حرّكوا بِهَا ساكًا.

ثانيًا: تتوقّف المهارةُ في بعضِ الفنونِ على القابليّةِ الفطريَةِ، وفي بعضِهَا على مُجَرَّدِ الممارسةِ والمواظبةِ والتدريبِ... وقد تفوتُ فرصةُ كسب المهارة لأسبابٍ، أَهَمُّهَا: سوءُ الأسلوبِ، والخطأُ في التطبيقِ، وتفضيلُ الْمُهِمّ على الأَهَمّ، والتقدُّمُ في السِّنّ، والتّلقّي من ضُعَفَاءِ العلمِ والمعرفةِ. فَمِنَ الحقائق التي يجب علينا أن نُقِرَّ ونعترفَ بِهَا: أنّنا عِشْنا في ظروفٍ عصيبةٍ؛ يسودها الضغوطُ السياسيّةُ[26]، والفقرُ الثقافيُّ[27]، وبُدائيَّةُ اللُّغةِ المحلّيّةِ[28]؛ هذا، ومع احترامي لجميع اللغات الإنسانية، – لأن كلاًّ منها آيةٌ من آيات الله تعالى–، فإنّ اللُّغةَ الكرديّة غيرُ ذاتِ كَفَاءَةٍ للتعبيرِ عن الحقائق العلميّةِ والكونيّةِ، ممَّا أصبحتْ هي نفسُها العقبةَ الكبرى أمام المجتمع الكرديّ، فَعَرْقَلَتِ الأكرادَ عن المسيرةِ العلميّةِ والحضاريّةِ، ونشأتْ منها مشاكلُ ثانويّةٌ أخرى خطيرةٌ ذهبتْ ضحيَّتَهَا أجيالٌ من أبناءِ المنطقةِ الكرديّةِ. والطامّةُ الكبرى؛ أن بعضَ عائلاتٍ مُنْحَدِرَةٍ من سلالاتٍ عربيّةٍ اسْتَكْرَدَتْ مع الزمان بحكم الجوار (مثل أسرتك الْعُمَرِيَّةِ العدويّةِ من بطون قريش)، لم تَتَنَبَّهْ – يا لَلأَسف الشديد –، إلى أصلِها، فلم تَعُدْ إلى ماضيها بجهودٍ خاصّةٍ، بل أَهْمَلَتْ عُرُوبَتَهَا طوعًا أو كرهًا، أو بسبب الجهل الناشئ من الفقرِ الثقافيِّ[29] والاضطراب الاجتماعي السائد على المنطقة منذ قرون.

---

[25] التطرّق: dokunmak, irdelemek

[26] الضغوطُ السياسيّةُ: siyasi baskılar

[27] الفقر الثقافي: kültür fukaralığı

[28] بُدائيّةُ اللُّغةِ المحلّيَّةِ: mahalli dilin ilkelliği

[29] والفَقْرُ الثَّقَافِيُّ، مَرَدُّهَا الْعُجْمَةُ، وَالْعُجْمَةُ لُغَةً: الإِبْهَامُ، وَعَدَمُ الإِفْصَاحِ، وَاللُّكْنَةُ فِي اللِّسَانِ. يُقَالُ: فُلاَنٌ كَانَ فِي لِسَانِهِ لُكْنَةٌ. أَيْ لَمْ يَكُنْ فَصِيحًا، كَمَا وَرَدَت فِي قَامُوسِ تَرَاجِمِ الأَعْلاَمِ لِلزِّرِكْلِي ضِمْنَ تَرْجَمَةِ مُحَمَّدٍ زَاهِدِ الْكَوْثَرِيِّ، يَقُولُ: «كَانَ يُجِيدُ الْعَرَبِيَّةَ وَالتُّرْكِيَّةَ وَالْفَارِسِيَّةَ وَالْجَرْكَسِيَّةَ وَفِي نُطْقِهِ بِالْعَرَبِيَّةِ لُكْنَةٌ خَفِيفَةٌ». بَيْنَمَا كَانَ الْكَوْثَرِيُّ مِمَّنْ طَالَ بَاعُهُ فِي شَتَّى الْعُلُومِ الإِسْلاَمِيَّةِ، وَمُؤَلَّفَاتُهُ وَمَقَالاَتُهُ شَاهِدَةٌ عَلَى مَهَارَتِهِ وَعُلُوِّ كَعْبِهِ فِي الْعَرَبِيَّةِ، وَأَمَّا لُكْنَتُهُ اللِّسَانِيَّةُ فَلَمْ تَكُنْ إِلاَّ لأَنَّهُ كَانَ مُسْتَعْرِبًا، لَمْ يَتَكَلَّمْ عَنْ سَلِيقَةٍ، وَإِنَّمَا تَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ بَعْدَ لُغَتِهِ الْمَحَلِّيَّةِ كَمَا سَيَأْتِي شَرْحُ هَذِهِ الْمُشْكِلَةِ فِيمَا يَلِي. فَالْعُجْمَةُ إِذَنْ صِفَةٌ تُطْلَقُ بِمَعْنَى الرَّكَاكَةِ فِي التَّعْبِيرِ الشَّفَهِيِّ وَعَدَمِ الإِفْصَاحِ لأَسْبَابٍ، إِلاَّ أَنَّ كُلَّ كَلاَمٍ غَيْرِ مُتَّصِفٍ بِالْفَصَاحَةِ لَمْ يَعُدَّهُ اللُّغَوِيُّونَ وَلاَ الْبَلاَغِيُّونَ الْعَرَبُ مِنَ الْعُجْمَةِ، بَلْ وَصَفُوهَا بِالرَّكَاكَةِ وَالتَّعْقِيدِ وَالْغُمُوضِ فَحَسْبُ، وَهَذَا شَيْءٌ مِنَ الْغَرَابَةِ بِمَكَانٍ. فَكَأَنَّهُمْ تَحَاشَوْا بِذَلِكَ عَنْ إِنْزَالِ الطَّبَقَةِ الْعَامِّيَّةِ مِنَ الْعَرَبِ مَنْزِلَةَ الأَعْجَامِ لِعَدَمِ إِتْقَانِهِمُ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ الْفُصْحَى، تَنْزِيهًا لَهُمْ، وَفِي ذَلِكَ شَيْءٌ مِنَ التَّشْوِيهِ لِلْحَقِيقَةِ. لأَنَّ الأَكْثَرِيَّةَ السَّاحِقَةَ مِنَ الْعَرَبِ الَّذِينَ لاَ يُتْقِنُونَ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ الْفُصْحَى أَعْجَامٌ لاَ مَحَالَةَ، وَأَخْلاَطٌ وَحُثَالَةٌ مِنَ الْبَشَرِ، لاَ حَظَّ لَهُمْ مِنَ الْوَعْيِ وَالْمَعْرِفَةِ بِحَقَائِقِ الْكَوْنِ وَالْحَيَاةِ. وَمَا أَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ جَهْلُهُمْ بِحَقَائِقِ هَذِهِ اللُّغَةِ وَمَكَانَتِهَا، وَعَظَمَتِهَا،

يكفي من التأثير السلبيِّ على نشوء الجالية الكرديّة بسبب لغتهم مَا شَاهَدْتُهُ من الوقائع أيَّام شبابي. منها أنّي كنتُ أتردَّد على المدارس الكرديّة في بعض المواسم طمعًا في ازدياد المعرفةِ، فأرَى الْمُدَرِّسَ يُحاولُ ويُداورُ ويُراوغُ ويَتَشَدَّقُ ويَتَنَطَّعُ ويَبذلُ كلَّ جهودِهِ وَيُفْرِغُ طَاقَتَهُ ليشرحَ مُصْطَلَحًا واحدًا من مصطلحاتِ الصرفِ أو النحوِ لِتِلْمِيذِهِ[30] باللُّغةِ الكرديَّة، فيضيقُ عليه

وَقَدْرِهَا كَلُغَةِ الْوَحِي، وَدَوْرِهَا فِي بِنَاءِ أُسُسِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ، وَفَتْحِ آفَاقِ التَّفْكِيرِ وَالإِبْدَاعِ وَالتَّطْوِيرِ الْمُؤَدِّي إِلَى تَوْفِيرِ وَسَائِلِ التَّنَوُّرِ وَالإِنْفِتَاحِ وَالتَّقَدُّمِ وَالازْدِهَارِ، مِمَّا فَرَّقَ جَمْعَهُمْ وَشَتَّتَ شَمْلَهُمْ وَتَرَكَهُمْ عَلَى أَشَدِّ حَالَةٍ مِنَ التَّخَلُّفِ. إِنَّ الْعُجْمَةَ ظَاهِرَةٌ لُغَوِيَّةٌ تَتَمَثَّلُ فِي أَشْكَالٍ مِنَ الْفَسَادِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ دُونَ غَيْرِهَا. لأَنَّ سَائِرَ اللُّغَاتِ عَجَمِيَّةٌ أَصْلاً، وَالتَّكَلُّمُ بِهَا عُجْمَةٌ وَالْفَصَاحَةُ فِيهَا مَجَازٌ، لاَ اسْتِقْرَارَ وَلاَ بَقَاءَ لَهَا؛ تَتَغَيَّرُ طَبِيعَتُهَا بَيْنَ مَرْحَلَةٍ زَمَنِيَّةٍ وَأُخْرَى، تَتَرَنَّحُ أَمَامَ أَيِّ عَاصِفَةٍ سِيَاسِيَّةٍ أَوْ اجْتِمَاعِيَّةٍ أَوْ حَادِثَةٍ مُدَمِّرَةٍ، فَتَتَفَرَّقُ إِلَى لَهَجَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ أَوْ حَتَّى إِلَى لُغَاتٍ مُتَبَاعِدَةٍ مَعَ الزَّمَانِ. أَمَّا الْعَرَبِيَّةُ فَلاَ سَبِيلُ لِلْفَسَادِ إِلَى أَصْلِهَا، وَلَوْ اسْتَعْجَمَ أَبْنَاؤُهَا قَاطِبَةً. فَإِنَّ أَصْلَهَا كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا. وَهِيَ لُغَةٌ شَرِيفَةٌ رَصِينَةٌ تَتَمَتَّعُ بِحِمَى الْقُرْآنِ وَضَمَانِهِ الْمَنِيعِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْمُطَهَّرَةِ. وَإِنَّمَا الْفَسَادُ يَنْحَصِرُ فِي نِطَاقِ عُجْمَةِ الإِنْسَانِ فَحَسْبُ، الَّذِي لاَ يَكَادُ يَجْهَلُ قَدْرَ حَاجَتِهِ إِلَى هَذِهِ الْوَسِيلَةِ الْعَظِيمَةِ وَمَدَى حِرْمَانِهِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِسَبَبِ هَذَا الْجَهْلِ. تَظْهَرُ الْعُجْمَةُ وَتَسُودُ عَلَى اللِّسَانِ فِي صُورَتَيْنِ مُتَعَاكِسَتَيْنِ، إِحْدَاهُمَا: الاسْتِعْرَابُ بَعْدَ نَشَاةٍ عَجَمِيَّةٍ مِثْلَ نَشْأَةِ الشَّيْخِ الْكَوْثَرِيِّ كَمَا مَرَّ آنِفًا، وَهِيَ أَنْ يُولَدَ الشَّخْصُ وَيَتَرَبَّى فِي بِيئَةٍ غَيْرِ عَرَبِيَّةٍ مُثَقَّفَةٍ، فَيَتَعَلَّمَ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ بَعْدَ لُغَتِهِ الْمَحَلِّيَّةِ. وَهَذِهِ كَارِثَةٌ مِنْ كَوَارِثِ الْقَدَرِ الإِلَهِيِّ كَمَنْ يُولَدُ مَشْلُولَ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَاءِهِ أَوْ مَبْتُورَهُ لاَ حِيلَةَ لَهُ فِي مُعَالَجَتِهِ وَلاَ اسْتِبْدَالِهِ، كَذَلِكَ تَبْقَى آثَارُ الْعُجْمَةِ فِيهِ مَهْمَا طَالَ بَاعُهُ فِي عُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ. يَجُوزُ أَنْ تُسَمِّيَ هَذِهِ الْحَالَةُ بِالْعُجْمَةِ الطَّبِيعِيَّةِ، تَكُونُ آثَارُهَا مُتَأَصِّلَةً فِي الشَّخْصِ الْمُسْتَعْرِبِ فَلاَ يَكَادُ يَخْلُصُ لِسَانُهُ مِنَ اللُّكْنَةِ أَبَدًا، كَالْمُسْتَشْرِقِينَ وَالطَّلَبَةِ وَالْمُوَظَّفِينَ الأَجَانِبِ الْوَافِدِينَ إِلَى الْبِلاَدِ الْعَرَبِيَّةِ لِلدِّرَاسَةِ. وَالنَّوْعُ الثَّانِي مِنَ الْعُجْمَةِ: هُوَ التَّعَجُّمُ. وَهُوَ أَنْ يُولَدَ الشَّخْصُ فِي بِيئَةٍ عَرَبِيَّةٍ غَيْرِ مُثَقَّفَةٍ، ثُمَّ يَتَعَلَّمَ اللَّهْجَةَ الْفُصْحَى عَنْ طَرِيقِ الدِّرَاسَةِ وَالتَّعْلِيمِ. وَهَذَا أَشْبَهُ بِطِفْلٍ يُولَدُ وَبِهِ شَيْءٌ مِنْ مَرَضٍ قَابِلٍ لِلْعِلاَجِ، يَبْرَأُ بَعْدَ فَتْرَةٍ مِنَ الرِّعَايَةِ الصِّحِّيَّةِ وَالْمُدَاوَاةِ الطِّبِّيَّةِ. لِلْعُجْمَةِ آثَارٌ سَلْبِيَّةٌ عَلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ؛ تَحُولُ دُونَ جَمَالِهَا الأَدَبِيِّ وَرَوْعَتِهَا الْبَلاَغِيَّةِ، هَذَا مِنَ الْوَجْهِ الْعَامِّ. أَمَّا عُجْمَةُ الشَّخْصِ الْمُسْتَعْرَبِ خَاصَّةً، فَإِنَّهَا تَأْتِي بِسَلْبِيَّاتٍ خَطِيرَةٍ فِي أَعْمَالِ التَّرْجَمَةِ وَالتَّأْلِيفِ بِالتَّحْدِيدِ. لأَنَّ الرَّجُلَ الْمُسْتَعْرَبَ لاَ يَتَأَتَّى لَهُ النُّفُوذُ إِلَى أَعْمَاقِ الْمُصْطَلَحَاتِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْفَنِّيَّةِ، وَالإِحَاطَةُ بِدَقَائِقِ مَكْنُونَاتِهَا. وَقَدْ يَتَوَرَّطُ فِي تَفْسِيرَاتٍ غَرِيبَةٍ وَتَأْوِيلاَتٍ شَاذَّةٍ لِهَذِهِ الْمُصْطَلَحَاتِ نَتِيجَةَ قُصُورِهِ وَعَجْزِهِ عَنْ فَهْمِهَا فَهْمًا دَقِيقًا. لأَنَّ مَعْرِفَتَهُ لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مَقْصُورَةٌ عَلَى حَوَاسِّهِ الْخَمْسِ وَقُدُرَاتِهِ الذِّهْنِيَّةِ بَعْدَ سِنِّ الطُّفُولَةِ بِخِلاَفِ الإِنْسَانِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي يَمْتَصُّهَا عَادَةً مَعَ لَبَنِ أُمِّهِ وَيَخْتَزِنُهَا فِي أَعْمَاقِ ضَمِيرِهِ وَوُجْدَانِهِ وَخَلاَيَاهُ... فَتَتَمَخَّضُ عِبَارَاتُ الشَّخْصِ الْمُسْتَعْرَبِ عَنْ آثَارِ هَذَا الْعَجْزِ بِأَخْطَاءٍ تَتَفَاوَتُ فِي عُيُوبِهَا وَخُطُورَتِهَا، فَتُؤَدِّي بَعْضُهَا إِلَى تَشْوِيهِ الْحَقَائِقِ وَإِرْبَاكِ الْقَارِئِ فَضْلاً عَمَّا تَسُودُهَا مِنَ الْغُمُوضِ وَالرَّكَاكَةِ وَسُوءِ التَّأْلِيفِ. وَمِنْ سَلْبِيَّاتِ الْعُجْمَةِ: أَنَّهَا تَغُرُّ صَاحِبَهَا بِالتَّسَاهُلِ فِي تَنَاوُلِ الْمَهَامِّ الْعِلْمِيَّةِ، إِذْ تَفُوتُهُ أُمُورٌ كَثِيرَةٌ لاَ يَكَادُ يَنْتَبِهُ إِلَيْهَا، يَدْرُسُ مَوْضُوعًا وَهُوَ بِمَعْزِلٍ عَنِ الْكَفَاءَةِ الْعِلْمِيَّةِ لاسْتِيعَابِهِ، قَاصِرُ النَّظَرِ عَنْ تَعَدُّدِ الصِّلَةِ بَيْنَ الْقَضِيَّةِ وَاعْتِبَارَاتِهَا الْكَمِّيَّةِ وَالْكَيْفِيَّةِ، مُتَرَدِّدٌ فِي مَدِّ الرَّوَابِطِ بَيْنَ مُخْتَلِفِ جَوَانِبِهَا وَالْخُلُوصِ مِنْهَا بِنَتِيجَةٍ تَشْرَحُ الصَّدْرَ. ذَلِكَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُسْتَعْرِبِينَ الَّذِينَ يَدْرُسُونَ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ مُدَّةً غَيْرَ قَصِيرَةٍ يَنْسَوْنَ أَنَّهُمْ اشْتَغَلُوا فِي كُلِّ هَذِهِ الْمُدَّةِ بِإِحْصَاءِ قَوَاعِدِ الصَّرْفِ وَالنَّحْوِ وَالْبَلاَغَةِ فَحَسْبُ، وَالْتَهَوْا بِهَذِهِ الْقَوَانِينِ اللُّغَوِيَّةِ الْبَحْتَةِ إِلْتِهَاءً مُطْبِقًا مُنْصَرِفِينَ عَنْ تَطْبِيقِهَا فِي الْحِوَارِ وَالْمُحَادَثَةِ، فَحُرِمُوا مِنْ طَلاَقَةِ اللِّسَانِ وَفَصَاحَةِ الْبَيَانِ فِي نِهَايَةِ الْمَطَافِ. إِنَّ كَثِيرًا مِنْ هَؤُلاَءِ تَتَلَوَّثُ سَرِيرَتُهُمْ بِقَدْرٍ كَبِيرٍ مِنَ الأَمْرَاضِ النَّفْسِيَّةِ، فَيَبْغُضُونَ كُلَّ مَنْ يَفُوقُهُمْ فَصَاحَةً وَبَلاَغَةً وَبَيَانًا. لأَنَّهُمْ يَجِدُونَ أَنْفُسَهُمْ غَيْرَ قَادِرِينَ عَلَى الْحَدِيثِ بِانْسِجَامٍ وَسَلاَسَةٍ وَهُمْ قَدْ افْتَدَوْا بِأَحْلَى أَيَّامِ شَبَابِهِمْ وَسَهَرُوا عَلَى حِفْظِ قَوَانِينِ اللُّغَةِ وَمُتُونِ عُلُومِ الآلَةِ، وَقَدْ خَرَجُوا مُفْلِسِينَ مِنْهَا، لأَنَّ سَعْيَهُمْ لَمْ يُثْمِرْ بِمَا يَجْعَلُهُمْ نَاجِحِينَ فِي مَيْدَانِ اللُّغَةِ خَاصَّةً عِنْدَ الْمُكَالَمَةِ وَالْحِوَارِ وَتَبَادُلِ الْحَدِيثِ مَعَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالثَّقَافَةِ. وَمِمَّا لاَ شَكَّ فِيهِ؛ أَنَّ عَدَدًا مِنْهُمْ يَمْتَلِئُونَ غَيْظًا بِدَافِعِ هَذِهِ النَّفْسِ الْمَهْزُومَةِ فَيَلْجَئُونَ إِلَى الانْتِقَامِ مِنْ كُلِّ مَنْ يَتَوَقَّفُ عَلَى عُيُوبِهِمِ اللِّسَانِيَّةِ وَقُصُورِهِمِ اللُّغَوِيَّةِ وَعَجْزِهِمْ عَنِ التَّعْبِيرِ الأَمْثَلِ، فَيَنْتَقِمُونَ مِنَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَمِنَ الْمُصْطَلَحَاتِ الْعِلْمِيَّةِ بِطَرِيقِ التَّشْوِيهِ وَالتَّأْوِيلِ الْفَاسِدِ وَيَنْتَقِمُونَ مِنْ كُلِّ فَصِيحِ اللِّسَانِ بِفِرْيَةٍ يَحُطُّ مِنْ شَأْنِهِ. هَذَا، وَالتَّارِيخُ لاَ يَنْسَى مَا وَقَعَ مِنَ الْفَسَادِ فِي الْمَنْهَجِ الدِّرَاسِيِّ عَلَى يَدِ الْمُسْتَعْرِبِينَ الْفُرْسِ وَالأَتْرَاكِ وَالْهُنُودِ بِسَبَبِ مُؤَلَّفَاتِهِمْ الْعَقِيمَةِ وَعِبَارَاتِهِمِ الرَّكِيكَةِ الْمُعَقَّدَةِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الانْتِقَامِ. وَرَدَ فِي مَقَالٍ جَدِيرٍ بِالاهْتِمَامِ جِدًّا صَدَرَتْ بِقَلَمِ الدُّكْتُورِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُوَيْقِلٍ السلمي تَحْتَ عُنْوَانِ: "الْمُتُونُ وَالشُّرُوحُ وَالْحَوَاشِي"، وَهُوَ يَتَطَرَّقُ إِلَى آثَارِ الْعُجْمَةِ فِيهَا، يَقُولُ فِي مَقْطَعٍ مِنْهَا: «الْمُتُونُ لاَ يُسْتَفَادُ مِنْهَا كَثِيرًا فِي مَجَالِ التَّطْبِيقَاتِ النَّحْوِيَّةِ؛ لأَنَّ مَا فِيهَا مِنْ قَوَاعِدَ لاَ يُنَاسِبُ قَابِلِيَّاتِ الطُّلاَّبِ بِصُورَةٍ عِلْمِيَّةٍ؛ وَلأَنَّهَا تُرَاوِحُ – أَحْيَانًا – بَيْنَ الزِّيَادَةِ فِي بَعْضِ الأَبْوَابِ وَالنَّقْصِ فِي أَبْوَابٍ أُخْرَى، فَأَسَالِيبُهَا وَمُحْتَوَيَاتُهَا وَمَنَاهِجُ تَصْنِيفِهَا لاَ تَتَّفِقُ مَعَ الْحَقَائِقِ التَّرْبَوِيَّةِ الْحَدِيثَةِ، وَالْمَنَاهِجِ التَّعْلِيمِيَّةِ الْعَصْرِيَّةِ. أَمَّا الشُّرُوحُ وَالْحَوَاشِي وَالتَّقْرِيرَاتُ، فَهِيَ تُكْثِرُ مِنَ التَّعَرُّضِ لِقَضَايَا الْمَنْطِقِ وَالْكَلاَمِ وَالتَّعْلِيلِ الْفَلْسَفِيِّ, وَفِيهَا مِنَ الْحُدُودِ وَالْقُيُودِ وَالاحْتِرَازَاتِ مَا لاَ يَتَلاَءَمُ مَعَ الْمُسْتَوَى الْعَقْلِيِّ لِلطُّلاَّبِ الْمُتَلَقِّينَ الَّذِينَ صُنِّفَتْ فِي الأَصْلِ لَهُمْ. هَذِهِ الْمَنْظُومَةُ التَّأْلِيفِيَّةُ لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تُضِيفَ إِلَى مَبَاحِثِ النَّحْوِ جَدِيدًا يَجْعَلُهُ مُزْدَهِرًا نَامِيًا، وَإِنَّمَا حَوَتْ قَوَاعِدَ مُتَحَجِّرَةً وَأَصْبَحَ هَمُّ الْعُلَمَاءِ تَلْخِيصَ هَذِهِ الْقَوَاعِدِ ثُمَّ شَرْحَ التَّلْخِيصِ، ثُمَّ التَّحْشِيَةَ عَلَى الشَّرْحِ، ثُمَّ التَّقْرِيرَ عَلَى الْحَاشِيَةِ... لِذَلِكَ فَإِنَّ النَّاظِرَ لاَ يَرَى إِلاَّ كَلاَمًا مُعَادًا مُكَرَّرًا فِي هَذِهِ الْمَنْظُومَةِ لاَ يُنَمِّي ذَوْقًا وَلاَ يُرَبِّي مَلَكَةً. هَذِهِ هِيَ الْعُيُوبُ الْمَنْسُوبَةُ أَوْ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تُنْسَبَ إِلَى هَذِهِ الظَّاهِرَةِ التَّأْلِيفِيَّةِ فِي النَّحْوِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْعُلُومِ، وَهِيَ الظَّاهِرَةُ الَّتِي تَرْسُمُ صُورَةً عِلْمِيَّةً وَثَقَافِيَّةً وَاضِحَةً لِعَصْرِ الْمَمَالِيكِ وَعَصْرِ الْعُثْمَانِيِّينَ، وَقَدْ رَكَّزَتْ هَذِهِ الْعُيُوبُ عَلَى جَعْلِ هَذَيْنِ الْعَصْرَيْنِ عَصْرَيْ تَخَلُّفٍ وَانْحِطَاطٍ، وَعَلَى أَنَّ هَذَا اللَّوْنَ مِنَ التَّصَانِيفِ دَلِيلٌ عَلَى ضَعْفِ الاهْتِمَامِ الْعِلْمِيِّ عَامَّةً، وَعَلَى الْجَهْلِ لَدَى حُكَّامِ هَذِهِ الْقُرُونِ جَمِيعًا مِمَّا انْعَكَسَ عَلَى الْمُؤَلِّفِينَ، فَجَاءَتْ تَصَانِيفُهُمْ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بِصِيَاغَةٍ تُوهِمُ أَنَّهُمْ أَتَوْا بِجَدِيدٍ وَوَاقِعُ الأَمْرِ غَيْرُ ذَلِكَ، إِذْ كَانَتْ مُؤَلَّفَاتُهُمْ قَلَّمَا تَسْلَمُ مِنْ غُمُوضِ الْعِبَارَةِ أَوْ خَطَأِ الْفِكْرَةِ، أَوْ مُخَالَفَةِ الاصْطِلاَحِ السَّلِيمِ، أَوْ غَلَطِ الرِّوَايَةِ الْمَعْزُوَّةِ، وَهِيَ – فِي مُجْمَلِهَا – كَمَا يَقُولُ هَؤُلاَءِ الْمُنْتَقِدُونَ صَرَفَتْ عَنِ اللُّبِّ إِلَى الْقُشُورِ، كَمَا أَنَّهَا – فِي نِهَايَةِ الأَمْرِ – سَلَبَتْ مِنَ النَّحْوِ بَهْجَتَهُ وَرُوَاءَهُ. أَمَّا مُصَنِّفُو هَذِهِ الْكُتُبِ فَقَدْ قَالُوا فِيهِمْ أَيْضًا إِنَّهُمْ مُتَّصِفُونَ بِغَلَبَةِ الْعُجْمَةِ عَلَيْهِمْ، وَقِلَّةِ إِلْمَامِ كَثِيرٍ مِنْهُمْ بِالأَسَالِيبِ الْعَرَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ مِمَّا جَعَلَ أَقْلاَمَهُمْ وَأَقْلاَمَ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ تَتَبَارَى وَتَتَنَافَسُ فِي إِقَامَةِ الصِّيَغِ الْخَفِيَّةِ، وَفِي إِقْحَامِ مُصْطَلَحَاتِ الْمَنْطِقِ وَالأَلْفَاظِ الْفَلْسَفِيَّةِ، وَفِي التَّلاَعُبِ بِالأَلْفَاظِ وَالإِيغَالِ فِي الإِيجَازِ، وَالْحِرْصِ عَلَى الرَّمْزِ وَالإِلْغَازِ، وَفِي الْجُنُوحِ إِلَى الاسْتِطْرَادِ أَوِ الإِيجَازِ بِلاَ دَاعٍ، حَتَّى بَاتَتْ مُصَنَّفَاتُهُمْ لَيْسَ فَقِيرَةً فِي الأَسَالِيبِ الأَدَبِيَّةِ فَحَسْبُ، بَلْ تَقَعُ فِيهَا أَيْضًا أَشْيَاءُ مِنَ الْمُخَالَفَةِ لِلْقَوَاعِدِ النَّحْوِيَّةِ أَوِ الصَّرْفِيَّةِ...». أَمَّا التَّعَجُّمُ، وَهُوَ عَكْسُ الاسْتِعْرَابِ، فَإِنَّ آثَارَهُ السَّلْبِيَّةَ عَلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَشَدُّ مِنْ مُحَاوَلاَتِ الْمُسْتَشْرِقِينَ وَخَبْطِ الْمُؤَلِّفِينَ الأَعْجَامِ. لأَنَّ الطِّفْلَ الْعَرَبِيَّ الَّذِي يَتَرَبَّى فِي بِيئَةٍ غَيْرِ مُثَقَّفَةٍ يَعْتَادُ عَلَى اسْتِخْدَامِ مَا يُسَمَّى بِاللَّهْجَةِ الْعَامِّيَّةِ أَوِ الدَّارِجَةِ، فَيَتَحَوَّلُ إِلَى إِنْسَانٍ أَعْجَمِيٍّ. وَلاَ شَكَّ فِي أَنَّ لِلْعَامِّيَّةِ عَوَاقِبُ هَدَّامَةٌ لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ. لأَنَّ الإِنْسَانَ الْعَرَبِيَّ الْمُتَعَجِّمَ، دَوْرُهُ فِي تَدْمِيرِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ كَدَوْرِ الْعَدُوِّ الْمُنْدَسِّ فِي صُفُوفِ الْمُجْتَمَعِ. وَهُوَ أَخْطَرُ مِنَ الْعَدُوِّ الَّذِي يَتَرَبَّصُ الدَّوَائِرَ بِهَا مِنَ الْخَارِجِ، وَإِنْ كَانَ فِي هَذَا التَّشْبِيهِ السَّاذَجِ خَلَلٌ قَدْ يَتَسَلَّلُ مِنْ ثَغْرِهِ الْمُغْرِضُونَ الْمُعْتَرِضُونَ لِمُجَرَّدِ التَّفْنِيدِ حِقْدًا أَوْ جَهْلاً: بِأَنَّ الْعَرَبِيَّ الْعَامِّيَّ لاَ يَجُوزُ وَصْفُهُ بِالْعَدَاوَةِ لِمُجْتَمَعِهِ وَلُغَتِهِ، بِذَرِيعَةِ جَهْلِهِ، وَلَكِنْ يَجِبُ عَلَيْنَا جَمِيعًا أَلاَّ نَتَنَاسَى بِأَنَّ الْجَهْلَ فِي ذَاتِهِ عَدُوٌّ لَدُودٌ لِكُلِّ حَقِيقَةٍ، فَإِذَا نَشَأَ الإِنْسَانُ فِي أَحْضَانِهِ شَبَّ عَلَى الْعَدَاوَةِ لِكُلِّ حَقِيقَةٍ تَبَعًا لِحَاضِنِهِ كَأَبِي جَهْلٍ!. لاَ يَكَادُ يَفْطَنُ إِلَيْهَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُتَعَمِّدًا فِي جَهْلِهِ أَوْ عَدَاوَتِهِ. الإِنْسَانُ الْعَرَبِيُّ الْيَوْمَ يَجْهَلُ الأُسْلُوبَ الأَصِيلَ لاسْتِخْدَامِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مَهْمَا كَانَ مُثَقَّفًا. فَلَيْسَ مِنَ الْفِرْيَةِ إِذَنْ وَصْفُ الْعَرَبِ بِالْعَجَمِيَّةِ (إِلاَّ مَنْ عَصَمَهُ اللهُ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ!). فَهُمْ لاَ شَكَّ طَائِفَةٌ مِنَ الأَعْجَامِ الْمُتَعَجِّمِينَ، وَذَلِكَ بِالدَّلِيلِ الْعِلْمِيِّ الْقَاطِعِ، أَدْنَاهُ: كَلِمَاتٌ يَسِيرَةٌ لأَعْرَابِ الْعَهْدِ الْجَاهِلِيِّ، فَضْلاً عَمَّا تَضُمُّهُ مُجَلَّدَاتٌ ضَخْمَةٌ مِنْ أَحَادِيثِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَلاَمِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم. نَنْقُلُ عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ كَلِمَاتٍ وَجِيزَةً لِحَاضِنَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ، ثُمَّ لِنُقَارِنَهَا مَعَ كَلاَمِ فُحُولِ أُدَبَاءِ الْعَرَبِ فِي هَذَا الْعَصْرِ، لِنَقِفَ عَلَى الْفَرْقِ الْكَبِيرِ الَّذِي تَتَمَيَّزُ بِهَا كَلِمَاتُ هَذِهِ الأَعْرَابِيَّةِ مِنَّ الْفَصَاحَةِ وَالاعْتِدَالِ وَالرَّوْعَةِ وَالْجَمَالِ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى إِذَا قِسْنَاهَا مَعَ كَلاَمِ أُدَبَاءِ عَصْرِنَا. وَهَذِهِ كَلِمَاتُهَا، تَقُولُ: «خَرَجْتُ عَلَى أَتَانٍ لِي قَمْرَاءَ، وَمَعَنَا شَارِفٌ (أَيِ نَاقَةٌ مُسِنَّةٌ) لَنَا، وَاللهِ مَا تَبِضُّ (أَيْ مَا تَدْمَعُ) بِقَطْرَةٍ، وَمَا نَنَامُ لَيْلَنَا أَجْمَعَ مِنْ صَبِيِّنَا الَّذِي مَعَنَا، مِنْ بُكَائِهِ مِنَ الْجُوعِ. مَا فِي ثَدْيِي مَا يُغْنِيهِ، وَمَا فِي شَارِفِنَا مَا يُغَذِّيهِ، وَلَكِنْ كُنَّا نَرْجُو الْغَيْثَ وَالْفَرَجَ، فَخَرَجْتُ عَلَى أَتَانِي تِلْكَ، فَلَقَدْ أَذَمَّتْ بِالرَّكْبِ حَتَّى شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، ضَعْفًا وَعَجَفًا، حَتَّى قَدِمْنَا مَكَّةَ نَلْتَمِسُ الرُّضَعَاءَ، فَمَا مِنَّا امْرَأَةٌ إِلاَّ وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَأْبَاهُ، إِذَا قِيلَ لَهَا: إِنَّهُ يَتِيمٌ، وَذَلِكَ أَنَّا كُنَّا نَرْجُو الْمَعْرُوفَ مِنْ أَبِي الصَّبِيِّ، فَكُنَّا نَقُولُ: يَتِيمٌ! وَمَا عَسَى أَنْ تَصْنَعَ أُمُّهُ وَجَدُّهُ، فَكُنَّا نَكْرَهُهُ لِذَلِكَ، فَمَا بَقِيَتْ امْرَأَةٌ قَدِمَتْ مَعِي إِلاَّ أَخَذَتْ رَضِيعًا غَيْرِي. فَلَمَّا أَجْمَعْنَا الانْطِلاَقَ قُلْتُ لِصَاحِبِي: وَاللهِ، إِنِّي لأَكْرَهُ أَنْ أَرْجِعَ مِنْ بَيْنِ صَوَاحِبِي وَلَمْ آخُذْ رَضِيعًا، وَاللهِ لأَذْهَبَنَّ إِلَى ذَلِكَ الْيَتِيمِ فَلآخُذَنَّهُ. قَالَ: لاَ عَلَيْكِ أَنْ تَفْعَلِي، عَسَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا فِيهِ بَرَكَةً. قَالَتْ: فَذَهَبْتُ إِلَيْهِ وَأَخَذْتُهُ، وَمَا حَمَلَنِي عَلَى أَخْذِهِ إِلاَّ أَنِّي لَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ. قَالَتْ: فَلَمَّا أَخَذْتُهُ رَجَعْتُ بِهِ إِلَى رَحْلِي. فَلَمَّا وَضَعْتُهُ فِي حِجْرِي أَقْبَلَ عَلَيْهِ ثَدْيَايَ بِمَا شَاءَ مِنْ لَبَنٍ، فَشَرِبَ حَتَّى رَوِيَ، وَشَرِبَ مَعَهُ أَخُوهُ حَتَّى رَوِيَ، ثُمَّ نَامَا، وَمَا كُنَّا نَنَامُ مَعَهُ قَبْلَ ذَلِكَ. وَقَامَ زَوْجِي إِلَى شَارِفِنَا تِلْكَ، فَإِذَا هِيَ حَافِلٌ، فَحَلَبَ مِنْهَا مَا شَرِبَ وَشَرِبْتُ مَعَهُ حَتَّى انْتَهَيْنَا رِيًّا وَشِبَعًا، فَبِتْنَا بِخَيْرِ لَيْلَةٍ. قَالَتْ: يَقُولُ صَاحِبِي حِينَ أَصْبَحْنَا: تَعْلَمِي وَاللهِ يَا حَلِيمَةُ، لَقَدْ أَخَذْتِ نَسَمَةً مُبَارَكَةً. قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَاللهِ إِنِّي لأَرْجُو ذَلِكَ. قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجْنَا وَرَكِبْتُ أَنَا أَتَانِي، وَحَمَلْتُهُ عَلَيْهَا مَعِي. فَوَاللهِ لَقَطَعَتْ بِالرَّكْبِ مَا لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ حُمُرِهِمْ، حَتَّى إِنَّ صَوَاحِبِي لَيَقُلْنَ لِي: يَا ابْنَةَ أَبِي ذُؤَيْبٍ، وَيْحَكِ! أَرْبِعِي عَلَيْنَا، أَلَيْسَتْ هَذِهِ أَتَانَكِ الَّتِي كُنْتِ خَرَجْتِ عَلَيْهَا؟ فَأَقُولُ لَهُنَّ: بَلَى وَاللهِ، إِنَّهَا لَهِيَ هِيَ، فَيَقُلْنَ: وَاللهِ إِنَّ لَهَا شَأْنًا. قَالَتْ: ثُمَّ قَدِمْنَا مَنَازِلَنَا مِنْ بِلاَدِ بَنِي سَعْدٍ، وَمَا أَعْلَمُ أَرْضًا مِنْ أَرْضِ اللهِ أَجْدَبَ مِنْهَا، فَكَانَتْ غَنَمِي تَرُوحُ عَلَيَّ حِينَ قَدِمْنَا بِهِ مَعَنَا شِبَاعًا لُبَّنًا، فَنَحْلُبُ وَنَشْرَبُ، وَمَا يَحْلُبُ إِنْسَانٌ قَطْرَةَ لَبَنٍ، وَلاَ يَجِدُهَا فِي ضَرْعٍ، حَتَّى كَانَ الْحَاضِرُونَ مِنْ قَوْمِنَا يَقُولُونَ لِرِعْيَانِهِمْ: وَيْلَكُمْ، اسْرَحُوا حَيْثُ يَسْرَحُ رَاعِي بِنْتِ أَبِي ذُؤَيْبٍ، فَتَرُوحُ أَغْنَامُهُمْ جِيَاعًا مَا تَبِضُّ بِقَطْرَةِ لَبَنٍ، وَتَرُوحُ غَنَمِي شِبَاعًا لُبَّنًا. فَلَمْ نَزَلْ نَتَعَرَّفُ مِنَ اللهِ الزِّيَادَةَ وَالْخَيْرَ حَتَّى مَضَتْ سَنَتَاهُ وَفَصَلْتُهُ». فَأَيْنَ كَلاَمُ الْعَرَبِ الْيَوْمَ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْفَصِيحَةِ الرَّنَّانَةِ الْخَالِصَةِ مِنَ الْمُبَالَغَةِ وَالرَّكَاكَةِ وَالْغُمُوضِ وَالتَّعْقِيدِ! لَقَدْ كَانَتْ حَلِيمَةُ أُمِّيَّةً مَعَ أَغْلَبِ الظَّنِّ، لاَ تَقْرَأُ وَلاَ تَكْتُبُ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ عَلَى هَذَا الْقَدْرِ مِنْ فَصَاحَةِ اللِّسَانِ. وَلاَ يُسْتَبْعَدُ أَنْ يَكُونَ أَكْثَرُ مُعَاصِرِيهَا رِجَالاً وَنِسَاءً مُتَمَيِّزِينَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ الَّتِي تُعَدُّ فَرِيدَةً فِي عَصْرِنَا. فَتَبْدُو إِذَنْ الشُّقَّةُ الْبَعِيدَةُ بَيْنَ أَهْلِ ذَلِكَ الْعَصْرِ وَبَيْنَ أَبْنَاءِ عَصْرِنَا مِنَ الْعَرَبِ مِنْ حَيْثُ مُسْتَوَى الإِتْقَانِ وَالْمَهَارَةِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ. وَهَذَا يُبَرِّرُ نِهَائِيًّا إِطْلاَقَ صِفَةِ الْعُجْمَةِ عَلَى الْعَرَبِ الْمُعَاصِرِينَ أَجْمَعِينَ، كَمَا يُبَرْهِنُ عَلَى مَدَى خُطُورَةِ هَذَا الْجِيلِ مِنَ الْعَرَبِ فِي تَدْمِيرِ لُغَةِ الْقُرْآنِ فَضْلاً عَنْ مُحَاوَلاَتِ الْمُسْتَشْرِقِينَ الدُّعَاةِ إِلَى الْعَامِّيَّةِ. إِذَنْ لَنْ نُبَالِغَ أَنْ نَقُولَ فِي النِّهَايَةِ: إِنَّ الْعَامِّيَّةَ إِصْرَارٌ عَلَى التَّعَجُّمِ وَانْسِلاَخٌ مِنَ الْفِطْرَةِ لاَ مَحَالَةَ، وَهَذَا حَرْبٌ عَلَى الْعَرَبِيَّةِ وَالْعُرُوبَةِ وَالإِسْلاَمِ!

[30] لا يُقال: لِطالِبِهِ في مثل هذا المقام، بل يُقال: لِتِلْمِيذِهِ!

الأرض بما رَحُبَتْ ويَتَفَصَّدُ جبينُهُ عَرَقًا فلا يتمكَّنُ من شرح ذلك المصطلح بوجهٍ يَفْهَمُهُ الطَّالِبُ ويفقهه، فيقومان عن الدرس وهما يُعَانِيَانِ تعبًا وكبتًا شديدين وخيبةً حَيَّرَتْهُمَا، وَهَزِيمَةً أَنْهَكَتْهُمَا وَهَيْهَاتَ الأمل...

إنَّ ملالِيَ وشيوخَ المنطقةِ الكرديةِ، كذلك خواجوات الأتراك، – في الحقيقة – لا يجوز إطلاق صفة (العَالِمِ) عليهم. لأنّهم ليسوا علماءَ في واقعِ الأمرِ. بل ينبغي وصفُهُمْ بِ(حُفَّاظِ كُتُبِ الصَّرْفِ وَالنَّحْوِ). لأن العالِمَ يمتازُ بثقافةٍ واسعةٍ حول الكونِ والحياةِ، فضلاً عن أنّه مُتَخَصِّصٌ في شُعْبَةٍ من شُعَبِ العلومِ المعروفةِ، له خِبْرَةٌ عامّةٌ في المعقول والمنقول، يمتاز بِحُسنِ الكتابة وطَلاَقَةِ اللِّسان في الخطابَةِ، والنُّطقِ السّليمِ الخَالِي من اللَّحْنِ والعيوبِ اللُّغَوِيَّةِ، مُعْتَرَفٌ به في أوساط العلماءِ المشهورين على مستوى الوطن الإسلامي...

إنما عُرِفَ الشيوخُ والملالي بهذه الصفةِ (في المنطقةِ الكرديَّةِ فحسبُ) نتيجةً للدِّعَايَاتِ[31] الكاذبةِ التي أثارهَا أنصارُهُمْ بسببِ المنافسةِ الّتي كان الهدفُ منها كسبَ الشُّهْرَةِ والرِّياسةِ ليس إلاّ... فَعَلَى سبيل المثال: كان في أُسْرَتِي رَهْطٌ من الشيوخ كُلُّهُمْ يمتازون بِمَعَارِفَ واسعةٍ واطِّلاَعٍ شاملٍ في العلومِ الإسلاميّة، وخِبْرَةٍ في العلومِ الرياضيّةِ كالحسابِ والفرائضِ والهندسةِ، كما كان لهم حظٌّ وافرٌ في علوم التاريخ والسِّيَرِ والمغازي مِمّا جعلهم يَتَفَوَّقُونَ على شيوخ الأكرادِ والأتراكِ بأضعافِ الأضعافِ، مع ذلك، لستُ مقتنعًا بما إذا يليق إطلاقُ صفةِ (العالِمِ) على أحدٍ منهم، فضلاً عن غيرهم. وقد ضربتُ المثالَ من أعمامِي والرجالاتِ المعروفين من أُسْرَتِي لِكَيْ لا يَتَمَكَّنَ أحدٌ من الطعنِ في عِرْضِي، فيقول: إنّ هذا الرجلَ من أعداء العلماء، أو يُفَضِّلُ أُسرتَهُ على غيرها. إنّما العلماءُ هم الذين صنعو التاريخ بعلومهم ومعارفهم وابْتِكَارَاتِهِمْ وَإِبْدَاعَاتِهِمْ، وبمؤلفاتهم القيّمةِ التي لا تزال الأجيالُ تُقِرُّهَا وتستفيد منها.

من حقائق البيئة التعليميّة في المنطقة الكرديّة: أنِّي لم أشاهد قطُّ أنَّ مدرسةً من مدارس الأكرادِ تُدْرَسُ فيها شيئٌ من العلوم العقليّة كالحسابِ والهندسةِ ومبادئِ علمِ الأحياءِ، وعلمِ الإجتماعِ، وعلم التاريخ والجعرافيا ونحوها. فكان الطّالب يَتَخَرَّجُ من هذه المدارس جاهلاً بأُمورِ الدنيا، صامتًا، ضائعًا، يجهلُ وجوهَ التعامُلِ والحوارِ، غريبًا في هذا العالَمِ لا أَمَلَ ولا هَدَفَ له سِوَى أنْ يكونَ إمامًا يصلِّي بالناسِ في مسجدِ القريةِ ويُدَرِّس قواعدَ الصرفِ والنحوِ العربِيِّ وهو غافلٌ عن أنّه أصبحَ رمزًا من رموز الجهل... كذالك لم أرَ في مدرسةٍ من مدارسِ الأكرادِ برنامجًا مُقَرَّرًا ومُعْتَمَدًا من قِبَلِ سُلْطَةٍ أو جِهَةٍ علميّةٍ أبدًا. لم تكن هناك شيءٌ اسْمُهُ السبُّورةُ والطباشيرُ والكُرَّاسَةُ والقلمُ والْمِمْحَاةُ والكتابةُ والإختبارُ والإمتحانُ والتدريبُ والخطابةُ والمناظرةُ والمسابقةُ العلميةُ.. لذلك كانتْ ولا تزالُ وجودُ هذه المدارسِ مصيبةً وعَمى على المنطقة، لم يتخلّصْ من تأثيراتِها السلبيةِ إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبِّي من الْمُتَفَتِّحِينَ الذين استيقظوا من نومتهم بِلُطْفٍ من الله، فأكملوا ثقافتَهم على أنفسهم بجهودهم الخاصّةِ مثل أخي الشيخ (.........).

---

[31] الدعاية: Reklam, propaganda

إنّ هذا القَدْرَ من الحقائقِ فَحَسْبُ، (التي يجب علينا أن نُقِرَّهَا ونَعْتَرِفَ بوجودها، فضلاً عن تفاصيل الواقع المرير)، لَهِيَ مصدرُ الْعَقَبَاتِ التي عَرْقَلَتْنَا في مسيرة الحياةِ، وأَخَّرَتْنَا في سباقِ العلمِ والحضارةِ والتقدُّمِ. فأنا أضرِبُ لك مثلاً من نفسي:

نشأتُ في أسرةٍ عربية قُحّةٍ، كُنَّا نتحدَّثُ داخلَ حرمِ الأسرةِ باللُّغة العربيةِ، ووالدِي المغفورِ له إنشاء الله تعالى كان خريصًا على اهْتِمَامِنَا بِلُغَتِنَا، ليس ذلك تَمَايُزًا من أهل المنطقة، والله يعلمُ إنّه كان أبعدَ الناس من البِدَعِ وشعوذة النقشبنديين وخزعبلاتهم. فَكَمْ سَمِعْتُ منه يقول: "وَقَعْنَا فِي طِينٍ هِنْدِيٍّ عَلَى حِينِ غِرَّةٍ مِنَّا، فَعَسَى اللهُ أَنْ يُنْقِذَكُمْ مِنْهُ!". كُنَّا في الوقتِ ذَاتِهِ نَتَحَدَّثُ في عَلاَقَاتِنَا بِلُغَتَيِ الكرديّة والتركيّة مِمَّا زاد في لَهْجَتِنَا من الْهُجْنَةِ وَالْعُجْمَةِ. ثم انْصَهَرَ جِيلُنا الصاعِدُ[32] في الْبَوْتَقَةِ التركية[33]، فلا يكاد أحدٌ من أبناءِنا يتحدَّث اليوم باللّغةِ العربيّة ولا يفهمها.

شأنُ جِيلِنَا الصاعدِ اليومَ، كشأنِ الأسرةِ التي تَنْتَمِي أنتَ إليها. فقد انصهرتم أنتم أيضًا في الْبَوْتَقَةِ الكردية منذ قرونٍ. فَنشأتَ في مدارس المنطقة التي مَرَّ ذكرُها آنفًا. ولذلك من الطبيعي أن تكون لِظُرُوفِ المنطقةِ تأثيراتٌ بالغةٌ على نشأتِكَ وثقافتِكَ.

فإذا أَقْرَرْتَ في نفسِكَ بهذه الحقائق (كما أَقْرَرْتُهَا أنا قبل عشرات السنين وفي سنّ مُبَكّرٍ، فتداركتُ ما فاتني من المعرفة والثقافة)، نعم، إذا أَقْرَرْتَ أنتَ أيضًا في نفسِكَ بالْوَاقِعِ الْمَرِيرِ، يَتَرَتَّبُ إذًا عليك أمورٌ، منها:

1) أنْ تُدَرِّبَ نفسَكَ في استعمالِ اللُّغةِ التركيةِ؛ إنْ كُنْتَ تريد أن تُصدِرَ مقالاتِك بهذه اللُّغة، سليمةً سَلِسَةً مُسْتَسَاغَةً ترتاحُ لها نفوس القُرَّاءِ وتتلقّاها بقبولٍ حسنٍ.

2) أن تَهْتَمَّ بالأسلوب البلاغِيِّ، بقراءة أعمالِ[34] طائفةٍ من أُدباءِ الأتراكِ وكُتَّابِهِمْ المشهورين، لعلّك تستفيد من أساليبهم في التصوير والرواية والحكاية والمدح والاستحسان والنقد والرَّدِّ ونحوِهَا، حتي تعتادَ على صِيَاغَةِ النصِّ المتين الجذَّاب الهادئِ، فتكونَ عِبَارَاتُكَ مَوْضِعَ الإعجابِ والتأمُّلِ لدَى القارئ المثقّف الواعي.

3) أن تَدْرُسَ المصطلحاتِ الثلاث: "العلمية، والموضوعية، والمنهجيّة". لأنّ أي مقالةٍ أو عملٍ كِتَابِيٍّ لا يَتَّسِمُ بهذه الْمِيِّزَاتِ الثلاثِ، لا قيمةَ له في نظرِ أهلِ العلمِ والمعرفةِ إطلاقًا.

---

[32] الجيل الصاعد: yeni nesil

[33] انصهر في الْبَوْتَقَةِ التركية: Türk potasında eridi, asimile oldu.

[34] أعمال: Çalışmalar: kitaplar, eserler anlamında kullanılmaktadır

4) أنْ تَدْرُسَ مبادئ الإنشاء. لأن النشاطاتِ التعليمية في المدارس الكرديّة كانتْ خاليةً من هذه المادّةِ تمامًا. والإنشاءُ فَنٌّ هَامٌّ، له مبادئُ دقيقةٌ، من أهمِّها: أن يَتَكَوَّنَ النصُّ من ثلاثِ مقاطعَ رئيسةٍ مُتَمَايِزَةٍ، لكنْ مُتَرَابِطَةٍ، وهي: التمهيدُ، والعرضُ والْخَاتِمَةُ. جُلُّ الملالي والشيوخِ يجهلون هذه المبادئَ، بل يجهلون مصطلح الإنشاءِ تمامًا!

5) أنْ تُدَرِّبَ نفسَكَ أيضًا على الإنشاءِ باللُّغة العربيّة. لأنِّي لَمَسْتُ في رِسَالَتِكَ الأخيرةِ التي كَتَبْتَهَا بالعربيّةِ، وجدتُ فيها ما يَصْعُبُ عَدُّها من الأخطاءِ النحويّةِ والبلاغيّةِ، فضلاً عمّا يَشُوبُهَا من إِطْلاَقَاتٍ غريبةٍ وحَشْوٍ وخروجٍ على القياس وغير ذلك...

فعلى سبيل المثال، تقول:

– "أعتذر أولا من حضرتكم، والصواب": (إلى)
– "على التأخير الرد على رسالتكم". لا يجوز إدخال (أل) على المضافِ، واستعمالُ (على) في الجملةِ نفسِها مرّتين أو أكثر مُخِلٌّ بالبلاغة. والصواب: (... بِسَبَبِ تأخيرِ الردِّ على رسالتكم).
– "لا أقدر استخدام الأجهزة التكنولوجية الحديثة بالطلاقة وخاصة جهاز الحاسوب للأسف": إنَّ لفظَ (الطلاقة) في كلامك حَشْوٌ، بل استعمالٌ غريبٌ، والصواب: (بالمهارة). لأنّ (الطلاقة) إنما تُسْتَعْمَلُ للتعبير عن فصاحةِ اللِّسانِ فحسب. وقولُكَ: (للأسف) خطأٌ، والصوابُ: (يَا لَلأسَفِ) بفتح اللام بعد (يا) للنُّدبةِ، وقد ورد في ملتقى أهل الحديث: "قُلْ: يَا لَلأَسَفِ! وَلاَ تَقُلْ: لِلأَسَفِ؛ إِذْ لاَ يَجُوزُ حَذْفُ الْيَاءِ فِي هَذا الْمَوْضِعِ. وَقَدْ اسْتَخدَمَ الْقُرْآنُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ".

أرى أنَّ في هذه الأمثلةِ الثلاثةِ لَكِفَايَةٌ في الْبَرْهَنَةِ على حاجتِكَ الْمُلِحَّةِ إلى مزيدٍ من معرفةِ التعبيرِ السّليمِ باللُّغةِ العربيّةِ. وقد أرفقتُ لك صورةً من رسالَتِكَ الأخيرةِ وأشَّرْتُ على مَوَاضِعِ الخطأ، وَالْحَشْوِ، والإطْلاَقَاتِ الغَرِيبَةِ، والخروجِ على القياس ونحوها... قد أَشَّرْتُ عَلَيْهَا باللَّوْنِ الأزرقِ الفاتحِ[35]، كما في الأمثلةِ المذكورةِ آنفًا.

---

[35] بسم الله الرحمن الرحيم
أستاذ العزيز، وشيخ الفاضل السيد فريد صلاح، صاحب الصداقة والكرامة والوفاء، حفظكم الله ورعاكم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد؛
أعتذر أولا من حضرتكم على التأخير الرد على رسالتكم القيمة، وقد تعلمون إني قد بلغت الكبَر في العمر وإني لا أقدر استخدام الأجهزة التكنولوجية الحديثة بالطلاقة وخاصة جهاز الحاسوب للأسف، ولذلك قد تجدوني في البطء بالكتابة العربية على تلك الأجهزة... سيدي وأستاذي الفاضل إن أرى نفسي محظوظ بمعرفتكم، وإني أعتقد الصداقة في العلم والعطاء أغلى ما نملك في هذه الحياة الفانية. والله سبحانه وتعالى قدّر العلماء ومدحهم في علمهم الذي يعملون به ويرشدون المجتمعات والكتل الإنسانسة إلى سبيل الحق والصراط المستقيم وصدق جلّ جلاله فيما قال في كتابه الكريم: (المجادلة – 11): يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ.
ولابد من توصيل الرسالة البحتة المنزلة من الله تعالى على منهج السلف الذين ساروا على هدي النبي المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه – . والعلماء هم الذين يحملون ذلك الدور الثقيل فيما يحمل بلاغ الحق في كل أزمان وفي كل أقطار الأرض. وفي هذه الأيام الملئية بالصعوبات والأثقال يجب التضامن بين العلماء وأصحاب الآراء الصحيحة في الدفاع عن الحق وعن الشعوب لعدم تمايلهم إلى الإنحراف والبدع في عقائدهم. مشكلات وقضايا العصرية تشعل نار الفتنة بكل أبعادها بين مجتمعات وشعوب الإسلامية وتجعلهم الفرق وأحزاب وشيعا، وتعطي الفرص لقوى الإستعمارية على الأرض، ويفسدون الحرث والنسل البشري. إذن ينبغي العناية المسلمين وعلى رأسهم العلماء ببعض لمكافحة تلك التيارات المفسدة في الأرض والدفاع عن أوطانهم وأنسالهم.
أستاذي إني سلّمت كتابي لأخ في عملية التصحيح من جديد؛ ليصحّح بعض الأخطاء النحوية في الجمل والكلمات. فلمّا أكمل ذاك العمل سأقدّمه لكم للإستفادة من خبراتكم ولنسمع بعض النصائح الطيبة من حضرتكم على هذا الأثر البسيط إن شاء الله تعالى. والأهم بنسبة لي هو إشرافكم على ما نواظب من الأمر، والكتابة التقديم من قبَلكم على ذاك الأثر البسيط إذا تكرّمتم.
وأخيرا نحن بخدمتكم ومستعدّون في كل أمر وعناية مما نقدر عليها لكم، والأخوة تجب الإستفادة من بعض.

6) أنْ تَكْتَسِبَ الْخِبْرَةَ فِي استعمالِ علاماتِ الترقيم[36]. لأن هذا أمر ضروري لكلِّ مُثَقَّفٍ إذا أراد أن يكتبَ ويُؤَلِّفَ. ولك أن تستفيدَ من رسالةِ (عَلاَمَاتِ التَّرْقِيمِ) لِمُؤَلِّفِهَا: ذَكِي مُبَارَكْ بَاشَا،[37] كان من مشاهير رجالات مصر قبلَ قرنٍ من الزَّمَنِ.

7) أنْ تستقبِلَ كُلَّ نصيحةٍ من صديقِكَ بصدرٍ رحبٍ، بأنْ تَعْلَمَ أنَّ النَّقْدَ والإهانة شيئان مختلفان عظيمَ الاختلافِ، شتَّانَ بينهما، وَبَعُدَتِ الشُّقَّةُ بَيْنَهُمَا بُعْدَ السماءِ والأرض! عِلْمًا بأنَّ هذه رسالةٌ نقديّةٌ، تخلو من جميعِ أشكالِ الإهانةِ، كُلُّ كلمةٍ وردتْ فيها إنما اسْتُعْمِلَتْ على أساسٍ من العلمِ والمعرفةِ والوعي العلميّ وَالْبَرْهَنَةِ والْمُقَارَنَةِ الْمَنْطِقِيَّةِ، بُغْيَةَ الإرشادِ والتنبيهِ والتبيينِ والتوضيحِ والتسهيلِ مع سلامة الصدر والمحبة لك. والنقدُ طريقةٌ قديمةٌ بينَ أهلِ العلمِ وإنْ كان هذا اللفظُ اسْطُلِحَ حديثًا. رُوِيَ أنَّ العلاَّمةَ أبَا يوسفَ يعقوبَ بنَ إسحاقِ الكنديَّ،[38] والإمامَ اللُّغويَّ أبَا العباسِ محمّدَ بْنِ يزيدِ بْنِ عبدِ الأَكْبَرِ الْمعروفِ بْالْمُبَرِّدِ [39] اجْتَمَعَا يَوْمًا. فقال الكِنْدِيُّ: إنّي لأَجِدُ في كلامِ العربِ حَشْوًا!!، فقال الْمُبَرّدُ: وَأَيْنَ هُوَ؟، قال أَجِدُهُمْ يقولون: عَبْدُ اللهِ قَائِمٌ، ثمّ يقولون: إنَّ عَبْدَ اللهِ قَائِمٌ، ثمّ يقولون: إنَّ عَبْدَ اللهِ لَقَائِمٌ. فالألفاظُ مختلفةٌ والمعنى وَاحِدٌ. فَأَجَابَ الْمُبَرِّدُ: بل المعاني مختلفةٌ. فالأوّلُ: إِخْبَارٌ عن قيامِهِ، والثاني: جَوَابٌ عن سُؤَالِ سائلٍ، والثالثُ: ردٌّ على مُنْكِرٍ، فقد اختلف الأفاظُ لاختلافِ المعاني، فَسَكَتَ الكنديُّ.

8) وأخيرًا أَنْصَحُكَ أن تُلْغِيَ عَمَلَكَ الموسوم (..........................) أن تُلْغِيَهُ من الأساس، وأنْ تُبَاشِرَ تأليفَ كتابٍ جديدٍ يشتملُ على مُحْتَوَاهُ لَكِنْ بأسلوبٍ علميّ، موضوعِيٍّ ومنهجِيٍّ هادِئٍ، يَتَّسِمُ ببلاَغَةِ التعبير، ورَصَانَةِ التركيبِ، وقُوّةِ الْحُجَّةِ، خاليًا من الضعفِ والغموضِ والتعقيدِ والألفاظِ النابئةِ، والْخِطابِ العنيفِ ونحوها... والْكَفُّ عن التَّكَلُّفِ مِنْ أفضلِ صِفَاتِ المؤمنِ، حتَّى لا نَدْخُلَ فِيمَنْ قال تعالى فيهم: " لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا، وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (آل عمران/**188**)". وصدق الله مولانا العظيم في كلماته المقدسة: أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا... (فاطر/**8**)

"يدا بيد نرفع راية التوحيد في بلدنا العزيز شعبا ونظاما بإذن الله سبحانه وتعالى"، وصدق الله فيما قال: ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (النحل – **125**). جزاكم الله خيرا كثيرا، ويوفقّكم الله في كل خير، ويبارك في أمركم وعمركم. وفي الختام أشكر لحضرتكم من صحابتكم وتواصلكم بنا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ملا (.........)"

[36] علاماتُ الترقيم: noktalama işaretleri

[37] ذكي مبارك باشا (**1867–1934**م.)

[38] أبو يوسف يعقوب بن إسحاقِ الكنديّ (**805–873**م.)

[39] المبرّد (**825–899**م.)

فقد تحمّل عَنَّا مُؤْنَةَ الإرشادِ مَنْ هُمْ أَقْوَى وَأَنْجَحُ مِنّا، وأَجْدَرُ بهذه الْمُهِمَّةِ، فإذا تَرَكْنَا لهم الْمَجَالَ تَوَاضُعًا للهِ، عسى اللهُ أنْ يُعَوِّضَ ذلك لَنَا بعملٍ آخَرَ مَبْرُورٍ نَحْظَى بِهِ الكرامةَ في الدنيا والآخرة.

وَأرجو أنْ يُوَفِّقَكَ اللهُ لأفضلِ أسلوبٍ في أرشاد العباد وتصحيح العقائد، وتهذيب الأخلاقِ...
وَالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

